هاجس الإيحاء في جماليات النّصّ الشّعريّ (شعر لودي الحداد أنموذجًا)

Suggestion Anxiety in Aesthetics of Poetical Text. Loodi al-Haddad Poetry as an Example.)

أ.م.د فوزي ثعبان منسي

Fawzi Thuban Mansi Al Moussawi

الجامعة المستنصريّة/ كلّيّة التّربية الأساسيّة / قسم اللّغة العربيّة

Al-Mustansiriya University/ Basic education college/ Arabic Language Department

fawzyalmaw@yahoo.com

الملخص:

يشغل التّعبير عن النّفس الإنسانيّة والوضع البشريّ موقعًا رحيبًا في القصيدة العربيّة وذلك بفعل الذّاكرة المثقلة والمتعبة، وقد وظفت الشّاعرة لودي حداد في قصائدها الأبعاد الرّومانسيّة الّتي تعتني بالتّجربة الشّخصية وتغلب العاطفة على العقل مع الإشارة إلى وحشة العالم وقسوته، كما وظفت اللّغة للتعبير عن البعد الرّومانسيّ بوصفه ممارسة واعية لمواجهة الخراب الّذي يحيط بالإنسان والطّبيعة والعالم هو ما نجده في قصائد الشّاعرة لودي حداد.

يتألف البحث من محورين أساسين: الأوّل هو تتبع الملامح الرّومانسيّة في شعر لودي حداد، والثّاني الولوج إلى المظاهر الأسلوبيّة الّتي برزت في قصائدها.

الكلمات المفتاحيّة : هاجس الإيحاء، الجماليات، النّصّ الشّعريّ، لودي الحداد

Abstract

The humanitarian expression and human situation occupy a nice location in the Arab poem due to handicrafts and tired memory. To the world's brigades and their cessation, as the language was hired to express the romantic dimension as a conscious exercise to face the ruin, which surrounds the man and nature, and the world is what we find in poet poet. The search consists of two bases: the first is to track romantic features in Loi Haddad hair, and the second access to the stylistic manifestations that appeared in their poems.

Keywords :Suggestion anxiety, poetical text, Aesthetics, ,Loodi al-Haddad

توطئة:

يعد ديوان نفحات من جليد ونار من الدواوين التي شغلت مساحة واضحة في تجربة (لودي الحداد) الشعرية في متن يفيض بأسطر شعرية ومهيمنات نصية حظي بها الديوان، قدمت الشاعرة فيه مجموعة من القصائد تميزت بفرادتها وبتعبيرها عن روح الشاعرة التواقة إلى الحرية، فالإبداع دربٌ طويل وهذا الدرب سلكته الشاعرة عندما وضعت قدميها على هذا الطريق لتجني بعدها ثمار ما كابدته فترجمته إلى صورٍ شعرية عزفت بها ألحان هويتها وأنوثتها، وإلى انزياحاتٍ بمفردات دقيقة وشفافة تتولد منها معان وإيحاءات فامتزجت العاطفة بالجمال والانفعال عبر إيقاعٍ خاص، وعن طريق امتزاج الشكل بالمضمون عبر كلمات ذات جرس إيقاعي منفرد ولغةٍ سلسلة تدخل قلب المتلقي دون تكلف، كل ذلك سيشكل موضوع دراستنا هذه.

إن الوضع البشري كما تراه المنظرة (حنا أرنت) هو (ما يَحصُر الذات الإنسانية ويحددها في مختلف مستويات الوجود، فالإنسان هو كائن في بحث مستمر في ذاته، وينبغي عليه في كل لحظة أن يتحقّق بدقة شروط وجوده ووضعه البشري؛ لأن الفحص النقدي والدقيق للذات والوضع البشري هو ما يمنح الإنسان قيمته الحقيقية. والوضع البشري بنية مركبة تتميّز بالتعقيد، إذ تتداخل فيه عدة مستويات، إذ يتحدد الكائن البشري ذاتيًا بالوعي، وموضوعيًا بالتواجد مع الآخر، والعلاقة التي تربط بينهما (الذات-الآخر)، إضافةً إلى الامتداد في الزمان التاريخي؛ إذ إن الكائن البشري فرد ذو صفات بيولوجيّة ونفسيّة وذهنيّة خاصّة تجعل منه شخصًا يتمتع بقسط من حرية الإرادة،

لكنه في الوقت نفسه مشروط بمحددات اجتماعية ونفسية لاواعية، ولا ينم تَشَكُّلُه في معزل عن الآخرين والمجتمع العمومي، وهكذا فوجود الآخر والعلاقة معه شرط ضروري لبناء الذات (htt).

والوضع البشري يتميز بالحياة الاجتماعية؛ فالإنسان إذ يوجد في هذا العالم فهو يعيش مع الآخرين ويدخل في علاقات عمل وانتماء، ويخضع لقيود يضعها المجتمع. ويعني الوضع البشري في معناه الحصري وضع الإنسان داخل المجتمع ومكانته في التراتبية الاجتماعية، كما يعني في معناه العام كل ما يميّز وجود الإنسان، أي نمط وجوده في العالم.

وانطلاقًا من قول الناقد الأمريكي هارولد بلوم (1930–2019) في كتابه الموسوم: قلق التأثير: نظرية الشعر، الذي يسبر فيه علاقات التأثير المتبادلة بين نصوص الشعراء والأدباء في التقليد الأدبي الغربي القديم والحديث والمعاصر، فـ ((إنَّ القلق ظاهرة التأثير يمكن أو لا يمكن أن يتجنبها الكاتب التالي على غيره ويتوقف ذلك على المزاج والظروف، ولكن نادرًا ما يهم هذا "إنَّ القصيدة القوية هي إنجاز القلق")) (بلوم، ١٩٩٨).

وبهذا فالتأثير في نظر الناقد (بلوم) هو الاستعارة التي تُلزم أساس العلاقات والتأثيرات النفسية والروحية وزمنها الذي تعيش فيه، وهي بحد ذاتها تكون مجابهة ومتأثرة من حيث طبيعتها، وبذلك لا يُعَّد التأثير هنا سلبيًّا ولاسيما عند من يمتلك مواهب كبيرة في الأدب والفنون الأخرى شرط أن يكون التناص ناتجًا عن وعي وذكاء يجعله جديدًا ومبتكرًا ومعبرًا عن تجربة واقعية متميزة تبرز فرادتها. يقول جوناثان كوللر: ((حينما تظن أنك تخرج عن العلاقات والنص، إلى الواقع ذاته، فإن ما تلقاه هو نص إضافي، وعلامات إضافية، سلاسل الإضافات...إن ما أفكر به أو أعرب عنه بوصفه طبيعيًا، هو في الواقع تاريخي، نتاج تاريخي)) (جوناثان، ٢٠٠٤، صفحة ١).

وفي السياق ذاته يوجز الشاعر الإنكليزي ت. س. أليوت (١٨٨٨–١٩٦٥) القول في إنَ الموهبة الفردية ناتجة عن تأثرها بتراث الأجيال المبدعة التي سبقتها، وربما من دون وعي، لكنها تبحث عن صوتها الخاص بها مثقلة بأثقال التاريخ البشري بكامله بأبعاده الروحية والنفسية بما فيها من نجاحات وانتكاسات (أليوت ت.، ١٩١٩؛ أليوت ت.، ٢٠٢٠، صفحة ١), ففي الحداثة وما بعدها تزاحمت الافكار وتدفقت بشكل كبير جداً وبالتأكيد لم تكن هذه الافكار وليدة العدم بل جاءت بوصفها معنى تأثر بأفكار متراكمة كانت حصيلة إبداعية جديدة تشكلت عبر مر العصور بوعي أو من دون وعي حتى صار من الصعب إعادتها إلى أصولها. فالتراث الزمني المتراكم لا يمكن التخلص من التأثر به على الرغم من محاولة بعض الكتاب اعتزال القراءة لحقب طويلة وبعدها المباشرة بعمل إبداعي جديد، وكما يقول (هارولد بلوم): ((كل قصيدة هي سوء فهم لقصيدة أخرى أصلية)) (Bloom, 1997, p. 94) ويتبع ذلك بقوله: ((الشعر هو قلق التأثر ومهارة الإخفاء، وهو انحراف منضبط عن المعايير الرائجة،

فالشعر هو سوء فهم، وسوء تفسير ومزاوجة غير موفقة)) (Bloom, 1997, p. 95), وهارولد بلوم من الذين أعادوا إبداع فرويد وجاك دريدا وفق ما يسمى بالقراءة الإبداعية الضالة، تلك القراءة التي يظهر فيها وعبرها إضافة عمليات شعورية معقدة إبداعية بين المبدع السابق والمبدع اللاحق، فقد أعاد قراءة مفهوم الاستبدال عند جاك دريدا في علاقة الشاعر المبدع بسلفه، تلك العلاقة التي تقوم على التأثر مع الرغبة في المجابهة والمقاومة واستبدال الآخر بتحريفه عبر تفسير وتأويل جديد لنتاجه الشعري في الكتابة التي هي خليط من الإبداع والقراءة النقدية المنتجة دون فواصل بحيث يبدو بأنَّ الشاعر الحديث هو علاقة بديلة مجابهة ومقاومة للتراث والأصل عبر الحضور المؤقت كأثر يكون في حقل تأويلي لا متناه وليس كمبدع مشبع بالأصالة، وبذلك يعيد اكتشاف موهبة الأصل عبر تجربة جديدة يبدو فيها الانحراف فعلًا اختياريًا بمعنى أنَّ المعاصر يمر بالموهبة القديمة لينحرف عنها بوعي وكأنه يُكمل ما نقص في نص السلف بمغايره لا تحافظ على النص الأصل بل تكمله وتضده في الوقت نفسه، فهو تكرار وقطيعة في آن واحد يقف المبدع بمن سبقه وقفة فيما هو مندمج في قطيعة مقصودة عن هذا السلف ليبدو نتاج اللاحق فاقدًا للقدسية الماضية لتحقق الفرادة التي تحمل التناقض، فيتطهر الشاعر مثلًا من أسلافه ويتحرر ليأتي بجديد فيصطدم بالازدواجيّة مع من سبقه ممن مارس التأثير عليه فيصير اللاحق مجموعة من الروافد في اتجاه النرجسية، فضلًا عن وعيه بالتناقض الأصلي الذي يصاحب استعمال العلامة ليس لبناء مزعوم، ولكن لتفكيك النص الآخر، وهي وظيفة مزاوجة الهوية الأداتية في التفكيك بقراءة ضالة تستند على التأثير والتأثر وتحويل الرمزية القديمة في استعارات يزدوج فيها السابق باللاحق فتتحقق الأسبقية الأصيلة للاحق في عملية الاستبدال كوصف فريد للرمز ذاته، وبذلك تكون إعادة إنتاج مستمرة تقاوم هوية النص الأول وتحدث العطب فيه، فبصيح خليطًا من ذات المبدع وسلفه بعد تعزيز هذه الذات التي أعادت إبتكار السلف عبر الاستبدال والتحريف الإبداعي لنصوصه دون الخروج الكامل عنه.

المحور الأول: الرومانسية.. ملمحًا وبعدًا إنسانيًا

إنّ العلاقة بين النصّ الشعري والنصّ النقدي هي ضرب من المنفعة المتبادلة، فالناقد معنيّ بمقاربة النصّ واستكناه حيثياته، وفي الوقت نفسه يأخذ النقد من النصّ الشعري توهجه وتنويره، ومن هنا نلحظ إنّ العملية برمتها أشبه بإعادة تدوير محكمة، الملهم فيها من يُحسن صنعته ويجيد استعمال أدواته (موسى، ١٩٨٥، صفحة ٨٤).

ومن هذا المنظور أجدني أشتغل على مساحات حرّة تتيح لي مزيدًا من المرونة والعفوية، أقرأ نصًا ثمّ أحاول محاورته بلغته نفسها وربّما تتسلل بعض ألفاظه إلى حيث أُسطّر كلماتي، في حالة أشبه بالسباحة الحرّة أو الركض

في كل الاتجاهات، ذلك أن مجموعة (نفحات من جليد ونار) حاولت تقديم نفسها عبر فضاء مشترك، يتماهى قربًا وبعدًا لكنه لن يكون غريبًا أبدًا فثمة ملامح ألفة تهيمن على المجموعة.

ربما نجحت لودي الحداد في رسم خارطة طريق، وها أنا ذا مجبرًا على سلوك سبيلها مطمئنًا إلى أن النهايات فيها من اللذة الروحية ما يسوغ قلق البداية. ولاسيما أنَّ شاعرتنا وظفت الكثير من مفردات المدرسة الرومانسية واستقت من ينبوعها أخيلةً وصورًا كلية وجزئية (براون، ٢٠١٦)، فهي تكتب القصيدة بنفس يمتزج فيه الحب المتشح بظلال الطبيعة في بهائها وسحرها بالنظرة المتسربة إلى أعماق العالم والمصير ليتجلى المكان والزمان وحدة واحدة لا انفصال بينهما، ويبدد صوتها الغنائي كأنه أصوات متعددة، إذ ينبع من الذات ليصب في الوجود بعوالمه وكائناته التي لا حصر لها مشكلًا رؤيتها الخاصة ومقيمًا عالمًا من الحقائق والرؤى، فأغلب الكلمات عندها تتنسب إلى الزمن بأبعاده وأشكاله المختلفة، فهو الزمان الضارب في المجهول حينًا والمحدد حينًا آخر، وكذلك المكان الملجأ والملاذ الواسع إلى غير حد حتى يشمل الكون كله، وهو المتعبئ بمحتوياته المنظورة، وكلاهما في الحالين متوشح بالمحبة ومتحد بالشاعرة وجدانًا وحسًا تذل عليه الألفاظ في قصائدها ويمكن لحاظ ذلك في قصيدة (أمي):

توغلت السُّنون الماكرةُ

في شرايين معبدي

ممتصَّة رحيق ملامحي

لكنني ما زلتُ واهيةً

أستنبط من تحت الركام النور

وأصوغ منه الأقمار والأجنحة (حداد، قصيدة (أمي)، ٢٠١٨، صفحة ١٣)

ينساب الحس الوجداني في القصيدة عن طريق التضافر بين الطبيعة والذات ويمنح هذا التضافر رؤية واسعة للتعبير عن قضايا الإنسان المصيرية ، فالزمن سلطة لا يمكن إغفالها، لا سيما عندما يظهر وقعها المخاتل ففي القصيدة تعبير مجازي عن (السنون الماكرة) التي تنشب أظفارها في تلابيب الروح لتسلبها القدرة على بناء لحظة أمل، لكن فعل الاستدراك يأبى إلا أن يكون حاضرًا حتى لو لونت لوحته بألوان خافتة تدل على قوة الصراع/ المكر الذي يحفل به تاريخ العالم، فترد اللحظة المنشودة وحيدة تدافع بقوة عن ولادتها بين سقوف التحديات الحقيقية التي تخنقها.

ولكن لحظة الأمل تولد يتيمة وتموت لاسيما عندما يُنتظر منها أكثر من ذلك في (الحب والحرية) وهما المحوران الأساس الذي يرتكز عليه طابع القصيدة عند شاعرتنا ومن دون تفريق بينهما ولا إيثار لجانب على آخر، إذ يتوحد في فكرها ووجدانها، فالحب عندها هو الحرية والحرية هي الحب حتى يصبح الحلم متوهجًا في رحلة الشاعرة التي تمزج بين الوضوح والغموض والمعقول وغير المعقول عبر زمن لا منتهي، إذ تقول الشاعرة في قصيدة (نداء الحرية):

خرجت من سكينتي

تراءت لي الشوارع المكتظةُ

أسرابًا تسابقُ الزمن

حدقت مليًا...!

فلم أر على الوجوه

سوى القنوط والوجل

كلٌّ ينوء بحكايةٍ

سحقت معها براعمَ الأمل...! (حداد، قصيدة (نداء الحرية)، ٢٠١٨، صفحة ٥٣)

سرعان ما تخبو جذوة الروح عندما يصبح العالم بانوراما لليأس، إذ تخرج اللحظة عن مسارها لتواجه جيوشًا من الوجل والخوف المستبد الذي لا يترك للحياة سوى الحكاية، ومرارة سردها الذي يشي بشيء من العار والتخاذل وكل ذلك يجري تحت سطوة الزمن فهو الذي يسبغ اللون الرمادي على المشهد، لكن ما وراء ذلك هو إيمان عميق بالحرية والحبّ والبحث عنهما في النفس البشرية وفي الحياة والتأريخ والفن وكأنّها رحلة مفكر مبدع استلهم الجمال المتسم بالنقاء والشفافية وعبير البراءة الكونية الأولى، وأنفاس الإنسانية المثالية، إذ يتجلى هذا الجمال وذلك العشق المخامر للحرية والحب في تضاعيف تكويناته الشعرية سواء كان موضوعها مرتبطًا بالفلسفة من خلال التصريح أو الرمز، أم مرتبط بالعشق وتأمل الذات، فقد وفقت الشاعرة في إختيار البنية الدرامية لتكوين قصائدها (الخياط، ١٩٨٣، صفحة ٢٩)، لأنها أكثر البنى مواءمة للتعبير عن قضايا حية ومتشابكة على حدّ قول (محمد عبد المطلب): (ما الفن إلا كائن له حضور المنظور أو المعنوي من خلال بناه الدرامية المتصاعدة)، وهذا ما دفع

الشاعرة (لودي الحداد) ليكون نصها مشبعًا بالقدرة على الإفصاح والانفتاح على الطبيعة بوصفها تعبير غني عن العالم الذي يحتاج فك رموزه وشفراته، لتومض شرارة التواصل بين النص وبين القارئ:

وأدركنا...!

أنَّ الطيور تهاجرُ

أما الساقية فتدندن أبدًا

الحكايا والأسرار

اشتعلت أسماؤنا

في كبد الشمس (حداد، قصيدة (دوائر النور)،، ٢٠١٨، صفحة ٧٣)

تظهر القصيدة إحساسًا عارمًا بالخيبة التي تحكم المصير الحتمي فالافتراق والغياب هو المصير الذي يعصف باللحظات الجميلة ليحيلها إلى موطن الذكرى وتغوص كلماتها في بحار القلق والاغتراب والحيرة وكأنها تحول القصيدة إلى معزوفة متناغمة الألحان والأصداء، إذ تتوازى أو تتداخل هذه المفردات مع عالمها الداخلي وتشعر به من ألم، فهي مختلفة عن شجي الرومانسيين الذي يتسم به الشعراء الأوربيين لأنها غائرة في روحها الشرقية.

يُعدّ الغياب والرحيل إحدى الصور المهيمنة على قصائد الشاعرة وغالبًا ما يكون ذلك الغياب مدخلًا للولوج إلى الذاكرة التي تعبر عنها الشاعرة بالسرد ورواية القصص ومنه أي الذاكرة تعود لتبني روحها وتستمر.

يمكن القول : إنّ مجمل قصائد الديوان قد اتّخذت من الرومانسية طريقًا للتعبير عن الإنسانية وكانت الطبيعة حزينة عاصفة بحركاتها لتدل على أن للشاعرة رؤية تنتمي لأسلافها من الرومانسيين الذين أسعفتهم الطبيعة في التعبير عن رغبتهم بتغيير العالم لكن من دون جدوى.

المحور الثاني: النص الشعري والظواهر الأسلوبية:

للنص الشعري أسلوبه الذي يعد بناءً لغويًّا يمكن فهمه عن طريق فهم قواعده وتوجيه دلالته بحسب السياق، وللوقوف على مواطن التأثير الفاعلة في البنية اللغوية لقصائد لودي حداد انتخبنا مظهرين من مظاهر اللغة والتعبير البلاغي يتمثلان في طريقة توظيف الأفعال شعريًّا وقد تبين أنّ الشّاعرة تتكىء على البناء الفعلي في مجمل قصائدها لتمنحها الزمن الخاص بها وتنطلق منها في توجيه دلالات القصيدة. كما وجدنا أن هناك مظهرًا يشيع في قصائدها وهو يعد من الأساليب التعبيرية الخاصة بعلم المعاني وهو الفصل والوصل. وسنركز الحديث في هذا المحور على هذين الأسلوبين.

١- استعمال الأفعال:

إن المتتبع لقصائد الشاعرة (لودي الحداد) في مجموعها الشعرية (نفحات من جليد ونار) يجد أن النص الشعري يمثل تجاوزًا للمألوف وإضافة إلى مأثورات الشعر المعاصر وهو بلورة لعوامل متعددة أهمها الاجتماعي والثقافي والسياسي بما أقامته الشاعرة من أنظمة أسلوبية وبنيوية ومن هذه الظواهر الأسلوبية أستعمالها للأفعال بكثرة واضحة وخاصة فعل الأمر الذي يدل على مواجهة قوة طاغية ربما تكون السلطة التي تحاول الشاعرة إدانتها بنحوٍ أو بآخر، وهذا لا يعني الإفراط في النزعة الفردية إنما قد تشي بمواجهة حقيقة من خلال هذا الاستعمال وكأنها صرخة بوجه الظلم وتحدي ورفض للجور والقبح والزيف ولكل ما يصادر حريتها وحبها للوطن وإيمانها بدور الشعر في كشف الباطل ويمكن لحاظ ذلك جليًا في قصيدة (السجينة):

أعصفي أيتها السكينة

انزعي البراقع عن الوجوه

أمطري أيتها الحقيقة

اجرفي الأشباح مع السيول

إنّ الأرض تئنُ

وقد انصهرت ملامحها

في أتونٍ من الذنوب...! (حداد، قصيدة (السجينة)، ٢٠١٨، صفحة ٣٥)

فليست تجربة الشاعرة التي تخوض غمارها إلّا رحلة لا تنتهي من العذابات والأسئلة لأن الإجابة عنها مشروطة باندحار الظلام وتحقق إنسانية البشر في أكمل صورها.

يشهد النص اضطرابا ورغبة عارمة في التغيير وذلك بالانتقال من النقيض إلى النقيض فالسكينة التي تعمّ ليست تلك السكينة الإيجابية التي نعرفها واعتدنا عليها فاللفظة لا تُعطي معنى إيجابيًا ذلك بسبب البناء الزمني المعبر عنه بأفعال الأمر (أعصفي، انزعي، أمطري، اجرفي) التي تمنح الصورة الشعرية قوة وحركة جذرية تنقل الدلالة من الضد إلى الضد، فهناك غضب مع الحقيقة والسكينة، وذات الشاعرة تبحث عن تغيير جذري شامل يجتاح حياتها ويقتلع كل ما حولها من أوهام وأشباح، فالتغيير كبير بدلالة أنَّ الأرضَ تئنُ، وحجم المعاناة وعمقها يظهران بقوة عن طريق الأفعال ، وهذا يعكس وهم تماسك الواقع الموجود في الحقيقية فهو بحاجة إلى عاصفة في مساحة الرؤية كي يخرج الوجه الآخر لهذا المشهد المتماسك الذي هو في حقيقته يقوم على اضطرابات كبيرة، فبحركة واحدة أو بثورة حقيقية يتغير كل هذا الواقع الموجود. وكما يقال فإنّ المريض يئن عندما يصارع الألم لا عندما يهزمه، وهو ما يعني أن ثمة فرصة أخيرة لا تزال توجد وهي ما تدافع عنه القصيدة وتتمسك به.

٢- الفصل والوصل:

وكذلك تسترعي نظر المتلقي تقنية أسلوبية مهمة هي تقنية الوصل والفصل بين الشاعرة والطفل الذي تصوره، ففي الحالة الأولى نجد الثانية مرآة للأول، وفي الحالة الثانية يفترق عنه ويمنحه صورة مغايرة، فهذه التقنية من أبرز سمات التصوير عند الشاعرة، إذ تجمع فيه بين الرومانسية والواقعية لكونها شاعرة ذات قضية تلتزم بها:

أنا أنت...!

رحيقُ الطفولة

وشوق ثائر يتصاعد

مع تنهدات الأنين

وأنت أنا...!

أطياف حلمٍ

يناجي اليقظة ويعزفُ

على أوتار الحنين (حداد، قصيدة (انصهار وولادة)، ٢٠١٨، صفحة ١٥)

في هذا النص ينجح المهيمن البلاغي في تحقيق جمالية المعنى عن طريق التبادل الذي يحقق معنى التكامل بين ذات الشاعرة والذات الأخرى (أنا أنت)، (أنت أنا)، فتفتح في العبارة الأولى التأويل عن طريق استرجاع زمن الطفولة وما يحمله من صور المشاعر العاصفة الطويلة الأمد والغائرة في العمق، مشاعر لا يمكن تغذيتها ولا مواجهتها سوى بالحرمان.

تُعطف الجملة الشعرية بعد ذلك التماثل وتعكسه إذ تقول الشاعرة (وأنت أنا) لكنه تماثل حزين فيه صورة لشيء لم يكتمل وتحول إلى اللاوعي وتولد عنه حنين موجع لأمنيات ظلت تراوح مكانها حتى انتهت إلى أن تتحقق في عالم الحلم.

أية مرارة ينضح بها هذا النص، بل أي إحباط ومعاناة لشاعرة عاشقة حتى الموت للخلاص وكأنها تعزف لحنا شجيا وبوصفها واحدة من عشاق الحرية وأعداء القهر. ثنائية الأنا والهو تسلط الضوء على هذه المعاناة، فالشاعرة ترى العالم عبر نافذة الطفولة وذلك يبرر مواقفها الرومانسية لأن (الشعر جذوة الإنسان للتعبير عن ذاته) (أبو ديب، ١٩٨٦، صفحة ٥٧)، مقولة الناقد كمال أبو ديب، وهذا ما عملت عليه الشاعرة المبدعة (لودي الحداد) التي كانت في ديوانها (نفحات من جليد ونار) تقربنا كثيرًا إلى جوهر الشعر من خلال بناء علاقات جديدة في البنية اللغوية والتعبيرية للقصيدة، هكذا تمنحنا الشاعرة أجمل ما في قرارة الإنسان من غناء وأنبل ما فيه من أحزان، فهي تغترف من أصفى ينابيع الشعر، وتمتلك القدرة على تحويل الرفرفة الرومانسية إلى أمواج تهدر في نهر الواقع بعذاباته وإشراقاته.

إنَّ الصدق الذي يبلغ حد البراءة هو السمة الأولى المميزة لما بين يدينا من قصائد ومقطوعات، فهي أقرب إلى الدموع حتى يفجرها حزن عميق، لأن الدموع لا تفكر وإنما تنسكب حتى تتحول إلى بوح، فالفكر الذي تتجسد فيه الكلمات نابعة من القلب، لأن صاحبها يعبر عن مشاعر حقيقة تشكل جزءًا من احتراق الروح قبل الجسم.

وعليه فإن لشاعرتنا أسلوبها الخاص في الكتابة الشعرية، قائم على المزاوجة بين الصورة والحدث شكلًا، وبين الإحساس والفكرة مضمونًا، وهذا ما منح القصيدة قدرة عالية على التعبير عن ذات الشاعر التي تمثل أبناء الوطن أجمع حتى يبلغ الألم والتمزق أوجهما في التحول من الفكر الواقعي إلى الميتافيزيقيا:

عندما تتجمد الأدمعُ

في مقلتي الصباح

ينطفئُ بريق الفكرة

تتمزق أشرعة السفنِ

نهرول إلى أزقةِ النفسِ وأودية الذكرى

يهتز الفضاء

تتكدر الكواكب (حداد، قصيدة (القدر المتشرد)، ٢٠١٨، صفحة ٧٩)

فاذا كانت هذه القصيدة قد بدأت برواية حلم مروع يعود إلى زمان بعيد، فإنها في النهاية تنتهي بحلم يقظة في عصر المأساة، إذ بلغت قمة تعبيرية أبدعت فيها الشاعرة وكأنها لوحة جمعت في تناسق فني وخيط مضفور بين سيريالية الرؤيا وواقعية المشاهد انعكاسا لصورة الأماكن الممزقة والمقهورة.

إن (تجمد الدمع) رمز إلى الخيبة العارمة والانكسار الذي ينتج بعد زمن طويل من المحاولات الساعية للتغيير وعندما تكون البداية/ الصباح محملة باليأس والخيبة والحزن الذي لا يمكن التعبير عنه بالدموع، بل بتلبد الإحساس فإن إنطفاء الروح وتمزق الرغبات الإيجابية سيقودان إلى نزع سحر العالم وإبقائه عالمًا موحشًا موغلًا في الظلم وقد تتابعت الجمل الشعرية من دون أدوات العطف لتحرك في المتلقي الإحساس بقوة الصورة الشعرية.

إنَّ هذا التعدد والتنوع في البنى الأسلوبية والعمق ورحابة الأفق، كلها حصاد تجربة إنسانية وفنية بارزة على درب الشعر، فالكثير من قصائد هذه المجموعة ستظل من بدائع الشعر المعاصر لأنها تتسم بأهم خاصتين من خواص الشعر وهما التدفق والتوهج اللذان يخلعان على إنتاج المبدع صفة السهل الممتنع، فنحن بين يدي شاعرة تؤمن برسالة الفنان ودوره المهم، شاعرة تمتلك مع الحدة ميزة الجسارة، وكم هي نادرة في هذا الزمان، وكأنها تقبض على الجمر ولا تحيد عن الطريق الذي اختارته بملء إرادتها، فهي تعرف أنَّ لكل موقف ثمنه فلا تخشى عقبى الموقف الحق.

أخيرًا لابد من القول بأن الشاعرة (لودي حداد) تمكنت من التعبير عن مشاعر الإنسان أينما كان بفضل قدرتها على استعمال قاموسها الشعري الخاص بجدارة عالية، وامتلاكها قدرا من الحس الدرامي التصاعدي الذي يمنح النص الشعري مناطق تشويق عالية تجاه القارئ، هكذا كانت الشاعرة هي الأقرب إلى قلب المعاناة ونزعتها

التأملية في النفس والكون، إذ أسهمت في تعميق رؤيتها وفي إجادتها لفنها فكانت من الصفوة في إنتاج النص الشعري الذي يمنح القارئ قدرًا كبيرًا من التأمل والتأويل.

الهوامش

١. (n.d.). Retrieved from https://elmahatta.com/

٢. د. جلال الخياط. (١٩٨٣). *الأصول الدرامية في الشعر العربي*. بغداد: دار الرشيد للنشر.

٣. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (القدر المتشرد). تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

٤. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (امي). تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

٥. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (نداء الحرية). تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

٦. Bloom, H. (1997). *The Anxiety of Influence: A Theory of Poetry* (Vol. 2). Oxford: Oxford UP.

٧. ت. س. اليوت. (٢٠٢٠). *الخشب المقدس (التقليد والموهبة الشعرية)*. (د. هيا علي الشمري، المترجمون) مجلة الحكمة https://hekmah.org.

٨. ت.س. اليوت. (١٩١٩). *التقليد والموهبة الفردية (Tradition and the Individual Talent)*. نشرت المقالة في جزئين في مجلة (الذاتي) ثم في كتاب اليوت النقدي الأول الغابة المقدسة١٩٢٠.

٩. كمال أبو ديب. (١٩٨٦). *الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر*. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

١٠. كوللر جوناثان. (٢٠٠٤). *نظرية الأدب* (المجلد ١). (رشا عبد القادر، المترجمون) سوريا.

١١. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (السجينة). تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

١٢. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (انصهار وولادة). تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

١٣. لودي حداد. (٢٠١٨). قصيدة (دوائر النور)، تأليف مجموعة *نفحات من جليد ونار*. بيروت: دار الفارابي.

١٤. مارشال براون. (٢٠١٦). *الرومانسية*. (براهيم فتحي، ولميس النقاش، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

١٥. منيف موسى. (١٩٨٥). *في الشعر والنقد*. بيروت: دار الفكر اللبناني.

١٦. هارولد بلوم. (١٩٩٨). *قلق التأثير – نظرية الشعر* (المجلد ١). (عابد اسماعيل، المترجمون) بيروت: دار الكنوز الأدبية.